

إن جوهر الأخلاق هو في قيم العدل والحرية والمساواة، وقد قال النبي(ص) "إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق"، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أن من أهم مقومات قيام الدولة الحضارية "الأخلاق".

هناك فكرة سائدة أن الحضارة الأوروبية بلا أخلاق، والحضارة العربية تحكمها الأخلاق.. وهذا خطأ لأننا نجد الكثير من الفضائل في المجتمعات الأوروبية يمارسها الأفراد هنالك في حياتهم اليومية، حتى أننا نستطيع أن نؤكد أن بعض تلك الفضائل أكثر رسوخاً مما هو عندنا، فعلى سبيل المثال حالة الغش في المواصلات لا تؤدي في بلداننا العربية إلى أكثر من مخالفة تموينية، أما إذا ضُبطت في مجتمع أوروبي تهمة بلا أخلاق" تقوم الدنيا ولا تقعد إلى حد يصعب على مرتكبها التخلص من نتائجها، المشكلة أننا صنفنا الفضائل في سلم، تأتي العفة في المرتبة الأولى وتم حصرها في المرأة دون الرجل، فكانت الأحكام الاجتماعية قاسية وحادة على المرأة... تاركة الرجل حراً طلباً بلا ضوابط.

إن جوهر الأخلاق لا يتجزأ.. فالأخلاق الدينية والسياسية والاقتصادية هي التي تخلق مجتمعاً سليماً معافى ومنيعاً ضد أي غزو مهما كان نوعه، أما نحن فقد أكدنا تمسكنا بالقشور وتركنا جوهر الأمور... وصرنا نرى النفاق والمعاملة هما العلامة الفارقة أو السمة الأساسية في مجتمعاتنا العربية، إن كان في السياسة أو الدين أو غيرهما، ابتداءً من النفاق الأسري إلى الوظيفي.. ليظال هذا النفاق حب الوطن، فتسمع الحناجر تطلق أرق العبارات في هذا الشأن، والممارسة الفعلية هو أنه كل يوم يفتصب هذا الوطن، وذلك بعدم الإخلاص له... إن كان في الحد من طاقات أبنائه والعمل الحثيث على وضع عقولهم في ثلاجات ليسهل نهب ثرواته، بل والأدهى من كل هذا وذاك وضعه رهينة لقوى خارجية مقابل مصالح شخصية ضيقة.

أين هذا من الأخلاق يا أمة العرب...؟

وفي جانب مواز نرى النفاق الحكومي والادعاء أن كل ما يُقر لصالح الوطن والمواطن، في حين لا نرى إلا أزمات متلاحقة مريعة لا يدفع ثمنها إلا الأغلبية الساحقة من الشعب الكادح في لقمة عيشه وكأن كل خطط ودراسات من هم في موقع المسؤولية تعمل على القصاص من هذه الطبقة الأساسية في المجتمع.

إن أكثر ما تعانیه بلداننا العربية هو زيف القيم واضمحلال الأخلاق، وهذا يدل على أن كل هذا التشدد والإدعاء بالتمسك بتعاليم الشريعة الإسلامية" التي حددت طرق الوصول إلى الدولة القوية" أيضاً مجرد نفاق.

الفساد الأخلاقي لا ينحصر في الفاحشة فقط كما عممها أصحاب القرار، وإنما الرشوة والغش واللامبالاة بالمسؤولية وعدم إتقان العمل كلها فساد أخلاقي أيضاً.

إن ما نحتاجه دراسة صادقة في كيفية الحد من الأسباب التي أدت إلى فقدان أغلب القيم الأخلاقية في مجتمعاتنا ومعالجتها بصدق، وبعيداً عن النفاق والمعاملة واضعين نصب أعيننا مصلحة الوطن أولاً وأخيراً.

أخلاق... أم نفاق؟

فاديا جبريل

رئيسة التحرير